شعرية العنوان
في رواية (اصابع لوليتا)
واسيني الاعرج

أ. م. د. ارشد يوسف عباس

التوطئة :-

يحاول هذا البحث في تحليله لبنية العنوان، الدخول الى مجال الشعرية بغية القبض على دقائق التعبير واسرار التركيب، اللذان يتمظهران في مضمون العنوان كصيغ جديدة وبنيات تركيبية ذات دلالات خاصة، توقد معاني تحقق سمة جمالية للعنوان، فهي تعمل على تفعيل النشاط القرائي والتأويلي، بعدما فتح شهية القارئ للقراءة .

إذ يقوم العنوان بعملية اختيارية داخل اللغة، باعتبارها عينة من المؤسسة اللغوية، التي يقوم بعرض مستوياتها التعبيرية، وصيغ تطورها ،وبنياتها التركيبية والدلالية، على شكل التمرد من المألوف، الامر الذي يدفع بالقارئ الى أن ينكب على قراءة العنوان بكل دقة لتفاصيل التركيب، واستحضار كل المعارف اللغوية ، لاجل ابراز الصورة الشعرية التي تعدها حدثا بارزاً وكشفاً جديداً في عالم العنوان، بوصفه حركة جديدة في اتجاه اللغة، وبهذا يصبح العنوان في ظل اللغة جزءاً معيشاً من إبداع الكاتب. ومن المعلوم أن الابداع لا يقف عند حدود صورة واحدة، وإنما يتطور وتتغير صورته تبعاً للتطورات التي تصيب اللغة بفعل الوعي عند الكاتب، ويحفل فضاء العنوان بتجارب اللغة والتركيب بكونه عملاً ينفرد بخصوصية إبداعية ، تتمثل باستخدامه تقنيات اللغة في بناء العنوان.

Abstract
The poetic title
This research tries in its analyzing to the structure of the title to get into the field of poetry as an aim to catch the meanings of secrets and constructions which be revealed at the structure of the title as a new formula and features of special references that wake up some meanings that achieve the beauty of the title. Because it works to activate the reading activity after it inspired the reader to read more and more.
As the title makes a choosing operation inside the language and considering it as a linguistic institution that shows the explanation levels and their developing formula and the semantic and analytic construction as unlike before.
This thing makes the reader to check and explain all the details precisely to make the poetic image prominent that is considered a great event and a new revealing in the world of title to describe a new movement according to language. As a result the title became an important part of the writer's creativity.
As it is known, creativity doesn't stop on the limits of one picture but it develops and changes due to the developments that take place according to the experience of the writer.
And the title is a work of a special creativity of the writer represents the techniques of the language.

واسيني الاعرج في سطور: –

ولد الروائي (واسيني الاعرج) في مدينة تلمسان بـــالجزائر عـــام ١٩٥٤، تلقى علومه الاولى في ضواحي مدينة تلمسان الجزائرية، وفي عام ١٩٧٣ انتقل الى مدينة وهران ومكث فيها اربع سنين ليكون المنبـــع الاول في تجربته الادبية، وعمل في الصحافة الجزائرية، وله اسهامات عديدة في مجالات التحرير وكتابة المقالات في الصحف اليوميـــة، وأكمـــل دراســـته الادبية في الادب العربي الحديث في جامعة وهران حاصلاً علـــى شـــهادة بكالوريوس، وفي عام ١٩٧٤ ظهر له اول عمـــل ادبـــي عبـــر روايتـــه (جغرافية الاجساد) ليكون الانطلاق الاول في مجال الرواية واســـتطاع ان يبني صرحاً سردياً متألقاً في عالم الرواية، ثم اتجه صوب دمشق له لتكون

المحطة الثانية في عالمه الادبي ،حيث نال فيها درجة الماجستير ثم شهادة الدكتوراه من جامعة دمشق .

وفي عام ١٩٨٤ عاد الى الجزائر، وعمل في جامعة الجزائر كاستاذ للمناهج الحديثة والنقد الحديث، ولم يستمر في عمله الا أن تلقى دعوة من المدرسة العليا للاساتذة وجامعة السربون الفرنسية، وفيها يلتقي مع كبار النقاد والادباء الفرنسيين.

درّس في عديد من الجامعات العربية، وأشرف على العديد من الصفحات الثقافية، وشغل مواقع ثقافية عديدة ، وساهم في العديد من الندوات العربية والعالمية المتعلقة بموضوعات الكتابة، وله عشرات من الروايات الادبية وعشرات من الكتب النقدية، وهو الان يشغل منصب استاذ كرسي في جامعة الجزائر.

شعرية العنوان :-

ليس العنوان مجرد شكلٍ لغويٍ محدد في الطول والحدود، بل هو نوع من المعرفة المميزة التي يمارسه الكاتب لأغراء الدارس بنوع من الحسياسية المفعمة الناجمة عن ضرورة دارسة القضايا الجمالية في ظل انتمائها المعرفي.

والعنوان للنص الادبي كالمفتاح الذي يدخله الى مفاتن اللغة ،ومعها يبدأ النص بالاضاءة، ويظهر سحر الفاظه وتركيبه ونداءه وينبثق فيه رؤيته وثقافته وابداعاته، فهو تاريخ منسي أصابه نوع من الاهمال على فترات من الزمن، وحاضر تزهو باضاءات جديدة، تنير الدرب لدارس الادب، ملئ بالدلالات مفعمة بالايحاءات، فهو مفتاح النص الذي يتعرف القارئ من خلاله على مضمون الكتاب، يهيئه الى ممارسة القراءة، ينفتح أمامه سلطنة العنوان، وفك هيمنته وعنفه اللغوي الذي هيأ الجو النقدي في معرفة انتقاء اللغة وبلورة معانيها

والاحاطة بأسرارها وصولاً الى المفردات التي تنفتح على الدلالات لتشكل نوعاً من الآلة المنتجة لإنتاج للتأويلات المترشحة منها، فهو انجاز فردي، الاختبار الاول للكاتب من بين ممكنات لغوية لنصه الادبي.

وهو- بلا شك – ليس وليد معرفي آناني بل صيرورة ثقافية متراكمة تؤسس مقاصد المرسل وتحولها الى بنية جمالية، على نحو تسمح بتسليط القارئ بنوع من السياسة تناسب تلك المقاصد تقضي إيجاد آلية تمكنه من تقديم رؤيا سردية قابلة لإستقبال فضول التأويل ورغبة منه في الكشف عن جمالية العنوان، لذلك تعرّف الشعرية " بأنها مجموع من السمات أو الخصائص الجمالية التي تتفاضل بمقتضاها الاساليب الشعرية من نص لأخر "(١) .

فوجود العنوان مرتهن بمدى عناية الكاتب به، إذ يفرض اسلوباً يتألق بين فعل المبدع الذي تأثربمؤثرات خارجية، وفعل القراءة الذي يبحث كيفيات التركيب الأكثر غموضاً وفق مقولات نحوية ووجوه بلاغية لم تطرق من قبل، وهذا النظم هو في الواقع إعادة توزيع اللغة في تركيب جديد، إذ يوظف جزءاً من النظام اللغوي الذي يطوعه للفكرة التي يريد الكاتب التعبير عنها ويحولها الى عنوان يتسم بالغموض حسب مقتضيات الاشكال النحوية والبلاغة الجديدة للعنوان.

والواقع إنّ افق الكاتب هو الذي يصنع فضاء العنوان، وذلك باعتماده على لغة تميل الى الانزياح، والتي فيها اسلوب"يشكل حمولة مكثفة من الاشارات والشفرات التي إن اكتشفها القارئ وجدها تطغى على النص كله، فيكون العنوان مع صغر حجمه نصياً موازياً، ونوعاً من انواع التعالي النصي، الذي يحدد مسار القراءة التي يمكن لها أن تبدأ من الرؤية الاولى للكتاب"(٢) وبهذا المعنى غالباً ما يكون العنوان مؤشراً على وجوده وهويته، عبر منظومة لغوية لها قوانين وآليات خاصة ، تعمل عبر الامكانيات الممكنة على انتاج انظمة تعبيرية مختلفة، ويعتبر حدثاً جديداً في حياة اللغة، على اعتبار صياغة تركيبية جديدة ، تولّد انساقاً تعبيرية جديدة، وبعباراة جديدة تعبر عن فكر الكاتب، باستحضارالفاظٍ من

خزينه اللغويّ الذي يسمح بترشح دلالات ممكنة ومتاحة ليبني نظاماً جمالياً وفنياً خاصاً به ، فهو فضاء لتفكيك وإعادة بناء العلاقات اللغوية. ضمن " نظام سيموطيقي مكثف لنظام، حتى ليصل الى حد التشاكل الدلالي"(3) فالعنوان ذو افق ضيق المساحة يخرق مجال الشعرية، بوصفه تشكيلة قصدية، فهو فن لفظي يستلزم قبل كل شئ استعمالاً خاصاً للغة، ترتبط بقوالب لغوية تحتوي على انفعالات شعرية تصدرمن خواطر نفسية ،تضم اسرارخفية غير متوقعة وراء التعبيرات يريد منا – كالمتلقي – أن نصل الى اسرارها ونعمل الى فك طوق التحجر وابتذالية المعنى، وان لحظة الاكتشاف هي لذة معانقة العلاقة الجديدة لترشحات اللغة ،تحصل ذلك عبر عمليات الحفر التي يقوم بها داخل ذاكرة اللغة، فاذا كانت لغة العنوان ليست لذاتها ولكن تنفتح وتنكشف امام اختراق حالة اللغة عبر نشاطها، حيث تتنارل ماهيتها لتكون امام ترتيبية جديدة والانزياح في أبسط تعريفاته هو خرق لقانون اللغة الى ذلك عدّ (جان كوهن) أن الانزياح هو ارقى المميزات الابداعية في الخاصية الشعرية، فهو يرى ان اللغة الشعرية في خصوصيتها هي وسيلة لخرق اللغة المألوفة وذلك تبعاً لاختلاف المستويات ، ليبدأ بعد ذلك الكشف وإلاكتشاف ، وهو بدوره يمارس منهجاً لتحرير متعته في إيجاد ماهية العنوان، فينتشل الدلالات والتأويلات من الغدير الذي غرق فيه العنوان، ويمد للألفاظ معانيها، ويقف عند خرق الكاتب القاعدة اللغوية ويدرك بالحسن الفني للعنوان، حينئذ يدرك أن الكاتب لم يسئ الى اللغة، إنما شدّها في قالب في ضوء الخصوصية الشعرية، وفقاً لهذه التصورات يكتسب العنوان"قوة مضاعفة على الايحاء وتغدو نصيته أكثر قوة على إخراج نصه من لعبة الثنائيات المتضادة ليعتاش على تخوم اللا(حسم) ولا نهائية التأويل"(٤)

لذلك نرى أنّ إبداع الكاتب في فنية العنوان يكمن في تحريك مشاعر وعواطف القارئ تجاه العنوان، والذي بدوره يزيد من احساسه بجمالية الصياغة الفنية للعنوان، على اعتبار أنّ عملية الابداع تتمثل في قالب العنوان الذي ينطوي على

إيقاع انفجاري يتمتع بدرجات عالية من التكثيف والاختزال والايحاء، لأنَ مساحة العنوان لا تتيح له أن يأخذ القالب اللغوي حريته في التوسع، لذا يذهب الكاتب الى شحن المفردة والجملة القصيرة في طاقة تعبيرية تحمل دلالات مخفية.

وهكذا يمكن القول: إنّ العنوان غدا يؤسس لنفسه شعرية خاصة به تنطلق من شعرية التجربة للكاتب، التي استقرت على صورتها اللفظية بعدما تناغمت بين خطاباته الادبية وسيرويته الذهنية التي تمرد عن الواقع وراح يبحث عن معنى آخر جديد وينتج ما ليس للألفاظ في جوهرها وذاتها نصيب

مبدأ الاختيار:-

نظراً لأهمية اختيار العنوان كنص مختزل ذي بعد تداولي يوازي لغة النص، لذلك يسعى الكاتب الى إعطاء خصوصية خاصة له تشدد على إعطاء بنية وتركيب مخصوصة للغة العنوان، فاذا كان العنوان يمثل إنجازاً، فلغة التركيب تمثل مجموعة من الإمكانيات، أي الامكانيات والدراية، فاللغة العربية لها سمة تمتاز بنظام جملي ترتبط بالبنية الذهنية، فكل نظام خاص يختلف من لغة الى أخرى، ويتم من خلال ادراك مبدأ الاختيار من خلال تركيب نسيج اللغة، أي تتجه دوال اللغة بكيفية الصياغة المرتبطة بالبنية الذهنية، فالتركيب رؤية مشكّلة لهيكل النسيج ومفهوماً ينطلق من التأثيرات الذهنية ،لذلك تكون لغة مشحونة بالقلق والامكانيات ويكون المحمول الفكري الذي طرحته اللغة هو الآخر مشحون بالصراعات الرؤيوية والنفسية، فيكون مبدأ الاختيار مبدأ قائم عن رؤية إقامة علاقات بين ظاهر اللغة ومحمولاتها الدلالية، وذلك على اعتبار أن ما يتم اختياره من مفردات في محور الاختيار، تقوم الذات الشاعرة باسقاطه في صورة متتاليات على مستوى محور التأليف(٥)

وما دام الأمر يتعلق باختيار العنوان الذي يتخذ من المعنى في الكلام بفعل تركيبية اللغة على نحو خاص متميز، فانَ اللغة أصبحت ممثلاً للمعنى، أي

الألفاظ خدم المعاني، وهذا يعني إنَ بناء العنوان هو بناء فكر حيث يتم استبعاد المعاني المعجمية للكلمة، وإحلال المعاني المجازية التي تعمل " على تحيين مضمرات اللغة ويحدث تحويلاً في أشكالها بغرض إثارة القيم التعبيرية انطلاقاً من جمل بسيطة ذات دلالات جديدة"(٦) وتكون أكثر قدرةً على حمل المعاني والأفكار والمشاعر والتأملات نتيجة فعل المغامرة في تركيبية اللغة، فتظهر صور إبداعية، وهذا الأمر يعني انَ تركيبية اللغة هي صورة لنسق نفسي وراءه عقل أنتظمه ترتب على حسب ترتيب المعاني في النفس .

ويمكن تحديد مبدأ اختيار العنوان عبر مرحلتين : -

١-عبارة العنوان هي لفظة تم وضعها في السياق ويكون بنظمه وتركيبه واسطة بين المؤثرات الخارجية للكاتب، واجتهاد الكاتب وتأملاته في صيغة واضحة ومقنعة ويكون المعنى الخفي جلياً عنده، وليس بالضرورة ان يدرك القارئ ذلك المعنى الخفي .

٢- إشارة العنوان هي عبارة عن وجود فهم غير قريب من سياق العنوان بذاته ،بل يحتاج الى نظر وتأمل لأجل إبراز خفايا العنوان، وهذا العمل لا يأتي على نحو بسيط بل يستوجب من القارئ بذل جهد كبير لأجل إدراك حقيقة العنوان، وهذا الجهد يكون قادراً على إنتاج سلسلة متوالية من المعاني البعيدة ذات طبيعة إشارية رمزية على اعتبار أنَ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، بل تثبت لها الفضيلة وخلافتها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى الذي تليه أو ما يشير الى ذلك بصريح المعنى، أي يحسّ القارئ بوجود اللفظة في مكان يتوخى تقبلها في بادئ الأمر، وهذا الامر يؤدي على إثارة انتباهه ويصطدم بما لا يتوقعه ويعد مفاجئة له، الأمر الذي يستوجب استحضار مجموعة متوالية من التأويلات، حال اكتشاف المعني المخفي للعنوان يكسب قيمته الفنية

بوصفه عنصراً من العناصر الشعرية على الخصوصية، بمعنى أنّ الفعالية الجمالية تحقق للعنوان بما تؤول اليه لا بذاته. (٧)

ومن هذا المنطلق يمكن القول إنّ مبدأ اختيار العنوان هو عملية اختيار واعية، وتركيب دقيق، وتوليف ذهني،وتشكيل لغة من جديد لا تتمثل في عملية النظم وترتيب الكلمات ،بل لعبة لغوية تهدف الى ايجاد تعبير ملائم يغوي القارئ ويتعين عليه معرفة طرق تشكل لغة العنوان، ومكوناتها، وعوالمها المتخيلة. وهذا كله يحتاج الى عقل فذٍ، وذوق مدرّبٍ، وحاسةٍ لغوية رصينة، تعرف جيداً كيف تتعامل مع اللغة بأناةٍ وصبرٍ ومجاهدةٍ، تستطيع تميّز دقائق الالفاظ، وخفايا العلائق .

من هنا لا بدّ من القول: أنّ مبدأ الإختيار يبدأ من مغامرة الكاتب في إسناد الفاظ ليس بينهما انسجام، لا على مستوى الرؤية ولا على مستوى التعبير، وفي ضوء وجود هذا الاختلاف تنشط عملية التأويل التي تسجلها القارئ، والتي تعد عملاً فردياً للكاتب وصولاً الى الابداعية، ومجرد وصول القارئ الى القيمة الفنية للعنوان يكون العنوان قد بلغ غايته الانفعالية لدى القارئ، وهذه الانفعالية بمثابة الغبطة الجمالية التي يستشعرها القارئ وهي لحظة من لحظات التفاعل والتقبل تجاة لغة العنوان، ويكون حينئذ قد سجل سمة جمالية وشعرية على لغة العنوان، وكذلك يدرك القارئ بأنّ العنوان صادر من وعي وتجربة الكاتب.

وعليه فانَ تحديد ماهية العنوان داخل النص الشعري، يجب أن يتم من خلال تحديد مجموعة العناصر المشكلة ليكون الدلالي المؤطر للعنوان، فالصورة تنهض من بنية التركيب وتتابع جمع خيوطها عبر الأفكار التي تتجسد في إشارة بلاغية(تشبيه، استعارة، كناية) وتكون الصورة أمام المد الجمالي، وهذا يقودنا الى الإلتفات الى القصدية في تشكيل العنوان، والى ما استخدمه من تقنيات ولغة.

إنّ اللغة بهذه الاعتبارات تمثل نظاماً خاصاً يتصل بالتركيبية، ويخضع لاعتبارات تتحكم في علاقاتها، فهناك في التركيب الفاظ تقوم على علاقة تعتمد على البعد التطابقي ، بذلك يكون العنوان جزءاً من بنية النص، وهناك طبيعة تجاورية تهيئ لبعض الألفاظ أن تستقر في مكان محدد ، عن طريقه تتلوّن الدلالة بطبيعة، وهذا النوع من التعاكس الدلالي لا يمكن اكتشافه بسهولة ، كونه بحاجة الى مهارة ذهنية من القارئ تفضح لعبة تركيب الصياغة العنوانية، الأمر الذي يبرز خصوصية لهذه الصياغة، مع الأخذ باعتبار ما يضفيه هذا العنوان من فنية تؤكد شاعرية العنوان.

نسيج العنوان وبناء الدلالة :-

تبدأ طبيعة العنوان بتقاطع عند نقطة جوهرية وهي استدعاء المعنى الغائب على حساب المعنى الحاضر،فالمتلقي اثناء استحضاره بمجموعة من متواليات دلالية، يفسح المجال للتدخل بأنماط مختلفة وصيغ متنوعة من الدلالات، لتسجل حضورها في القوة الذهنية في عقل المتلقي.

ومن المعلوم في الدراسات اللسانية أنَ العلاقة بين الكلمة ومرجعيتها من أحداث وأغراض ،هي العلاقة وما تشير اليها، فاشارة الكلمة هو الضمان الأساسي لبناء نسيج العنوان، لذا أصبح من الضروري فهم لغة إشارة الكلمة لأجل وصول الى فهم مدلول العنوان "فإذا كانت اللغة ليست لذاتها ولكن تفتحها وتكشفها، فتأويل اللغة – اذن – لا يختلف عن تأويل العالم" (٨) ففهم اللغة ضروري لأجل إدراك إحالة العنوان ،فالدلالات لا تتبلور في العنوان بكيفية مباشرة ؛ بل بطريقة تقوم فيها التجربة الداخلية للمبدع باستيعاب دلالتها ثم إعادة إنتاجها من جديد، وهذا التفاعل بين تجربة المبدع واحالات العنوان هو الذي

يكشف عن الحساسية الشعرية ويستشعر المتلقي قيمة العنوان بين المعطيات الفنية المتعددة .

فهي دعوة الى فتح بؤرة لغة العنوان التي تضم تحتها خبايا تثير تساؤلات عدة، تغري القارئ بمواصلة القراءة المستمرة، ويتم فيها تفعيل اسقاطات نقدية تعمل على استدعاء احتمالات بدلالة العنوان ضمن معطيات اللغة.

إنّ الخاصية التي تتميّز بها لغة العنوان، هي أولاً بحث في ألفاظ اللغة وممارسة الاختيار وانتقاء المفردات الدالة التي تفتح مجالات متعددة لإنتاج دلالات متعددة تعمل على صنع الدلالة وإثارة المعنى وتعميق إحساس القارئ بها حيث تجمع في طياتها بين القوة والحياة والمعنى فهي لغة شعرية، أما إذا كانت لغة العنوان ذات تركيب بسيط ليس فيها من التلميحات ما يشدّه الى المستوى الكامن للغة العنوان فهي لغة بسيطة لا تمت بأيَة صلة للشعرية.

من هنا نكون أمام مستويين مختلفين من المستويات الادراكية للغة العنوان: المستوى المعجمي الذي يمثل القيمة المرجعية لهذه اللفظة، والتي لا تحقق ما يرجوه اليه الكاتب، وتتعامل مع الاشارة دون جذب انتباه القارئ، والمستوى الدلالي الذي يقترحه الخطاب، حيث لا يتعامل مع المرجعية، بل يتبنى عالماً خاصاً به، يمهد للعملية التأويلية أن تتموضع وتفيض بصور من الدلالات.

فاذا تفاجأ القارئ بأنّه أمام ما هو غير متوقع ومندهش من تركيبية لغة العنوان، وهذه التركيبية تقع خارج مجال الذخيرة المعرفية له، كونها تخرق ما هو سائد، وتزيح من ذاكرته ما هو نمطي ومألوف، وتلقي بضلالها على نفسيته، وتثير فضوله، وتدفعه الى مزيد من الايغال في أعماق لغة العنوان، فحينئذ يشعر القارئ بأنَه أمام عنوان بالغ الغربة يمنحه أي العنوان هويته الإبداعية، ويقع ضمن مغامرة لغوية تتسم بلغة شاعرة، وبهذا الادراك للمستوى التركيبي يتجاوز حدود اللفظة المفردة، بل لا يكاد أن يعطيها من الاهمية الا وضعها في نظم جديد، على اعتبار إنَ اللفظة الواحدة لا تتميز بحسن ذاتي، وانَما يتحقق لها ذلك

من خلال التركيب الجديد ، كلما كان العنوان أكثر شعريةٍ كانت أكثر غوايةٍ للقارئ.

وعليه يكون العنوان عبارة عن منظومة من القيم يتبناها الكاتب ويجعل منه معاييراً لتقييم منتوجاته الفكرية والجمالية بعدما جعله في مقدرة لغوية تتشظى بدلالات متجددة، تتوالد مع كل قراءة نسيج جديد عبر طاقاته التعبيرية.يتمظهر على صعيد الخطاب الأدبي على صورة مفارقة لفظية .

جمالية العنوان :-

ليس العنوان مجرد حدث لغوي فحسب، بل هو نوع من المعرفة يمارسه الكاتب كمؤشر علامي في سياق غير مناسب هو سياق التلفظ الكلامي، فمجرد كشف القارئ القناع عن حجب العلامة اللغوية، يدرك القاري أنه أمام مهارة لغوية خاصة تقولب على نحو غير متوقع .

يبرز دور الجمالية في البنية التركيبية، والتي توحي بأنّها نتيجة نهائية لتعاضد دلالة لغة العنوان مع فلسفة الكاتب في الاختيار والتركيب، إذ يفرض على مستوى التعبير وجود اضطراب في نظام تشكيله يبتعد شيئاً فشيئاً عن المعنى الصريح ليفتح آفاق جديدة تتسم بالكثافة والاختزال، بلا شك إنّ ميزة التكثيف والاختزال رهينة بتواجد الكثير من الفنون البلاغية في بنيتها باعتبارها بنية تتم داخل اللغة وبوساطة اللغة فيحاول القارئ اقتحام لغة العنوان والتي بدورها تكشف مواطن تشكيل العنوان ويدرك أن فيها شبكة من صلات دلالية وديناميةالتي تجعل من ثريا العنوان إشراقة جمالية في نفسية القارئ مما يولد في داخله شعوراً جمالياً، بعد ما فتحت تركيبية العنوان آفاقاً القارئ على نحو من التأويل ويظل مشدود فيها وذلك عن طريق جمع جزئيات التشكيل بمستوياتها غير المباشرة وجوانبها الاستعارية لتعبر بها في السياق الجديد مما يزيد إحساسنا بلغة العنوان، اذاً هي اشارة العنوان الى أمر غائب في البنية التركيبية الجديدة،

فتصبح البنية المولدة للدلالة ، بنية ثريّا مكثفا غدا أكثر جمالية وشاعرية، ويتجلى ذلك عندما تكون " لغة العنوان تضيف الى دلالاتها المعجمية والكامنة في الذاكرة الجمعية دلالات جديدة من خلال تعالقها مع سياق النص اللغوي والجمالي، من خلال الايحاء والترميز لا المباشرة والتسطيح"(٩)

الى ذلك يمكن القول إن جمالية العنوان تتم من خلال إدراك القارئ ماهية العنوان والوقوف على مدى إنحرافه الدلالي على الدلالة المعيارية ووضعها بقالب خاص معتمداً في ذلك أنّ العنوان القائم على التورية والمجاز تحقق له غرضاً ايهامية، تفقد خصوصيته الاصلية منتجاً معنى جديداً فالدهشة كمفهوم نفسي وإبداعي، حالة مصاحبة للكشف، فكل كشف من قبل القارئ تقابله حالة الاندهاش من قبل المتلقي، على اعتبار أنّ الكاتب كأي فنان، يملك طاقة مبدعة، تجعله يعيد صياغة الأشياء المألوفة لدى الآخرين لتبدو لديهم كأنّهم يرونها لأول مرة فتثير فيهم الدهشة (١٠)، بالتالي يضع القارئ اللغة الجديدة للعنوان في دائرة الهوية الجمالية.

إنّ الاشتغال على لغة العنوان في إطار شعريته الادبية ضروري جداً، لانّ كل ابداع يعدّ حدثاً مهماً في حياة اللغة، لانّه يعيد صياغة تركيبة جديدة ويولد أنساقاً تعبيرياً ويضفي عليه سحراً خاصاً ويشكل لألفاظها سياقات لم تكن من قبل، فترفع من القيمة الادبية للعنوان، وتبرز في الساحة الفنية أهمية العنوان من حيث بنيته ودلالته، وهذا الأمر يزيد من فنية العنوان يزيد احساسنا بجماليته .

العنوان عند (واسيني الأعرج) يأخذ شكلين اثنين هي : -

١-العنوان العام :- وهو العنوان الذي يتصدر الرواية ، ويكسب أهميته من موقعه الرئيس على غلاف الكتاب .

٢- العنوان الفرعي:- وهو مجموعة من العناوين التي تندرج تحت العنوان الرئيس، وتكسب أهميتها من خلال الصلة الشديدة مع العنوان الرئيس من جهة، وتشكل شعرية تتجاوز وظيفته المعيارية من جهة اخرى.

العنوان العام وهو ما يملأ غلاف الكتاب – عادة– يقترن من رسوم وصور ولوحات تشكيلية، يخضع لإعتبارات الكاتب ونقطة الانطلاق في صنع اشكالها الثقافية التي تمثل موجزاً مضغوطاً للحياة الشعرية للكاتب أو المرآيا التي يضعها الكاتب أمام القارئ لكونها تجسد " أعلى اقتصاد لغوي ممكن، ليفرض أعلى فعالية تلقٍّ ممكنة، مما يدفع الى استثمار منجزات التأويل (١١) وفق هذا المنظورنحن بأزاء لغة مبدعة قابلة للأنتباه من قبل القارئ، لانّ العنوان لم يوضع على نحو عفوي، بل هو بحاجة الى مقدرة فنية تدل على التذوق الجمالي، إذ يمكن رؤيته في كثير من الأحيان،على أنّه مادة تتمثل فيها الحلاوة والطلاوة.

فلا غربة أن يكون العنوان العام على نحو إغرائي يثير فضول القارئ، ولاسيما اذا ما عرفنا أنّ ثقافة الكاتب النقدية سواء أكانت فطرية أم مكتسبة بالدربة والمران، تعمل بوصفها محفزاً للقارئ ومثيراً له يسعى الى معرفة ما وراء ما يحيل عليه "ويؤسس العنوان لغواية ينساق معها القارئ فهو أيضاً المرآة التي تكون في بداية الأمر مكسورة تعطي انطباعاً مشتتاً"(١٢)

العنوان الفرعي هو عبارة عن علامات ومؤشر لها دورها الخاص في توجيه القارئ في مواصلة القراءة، وافتتانه حتى يشعر بمتعة كبيرة في القراءة، ويرى نفسه وهو يتحرك داخل فضاء تخيلي ومرتبط تدريجياً بفضاء أخر، يدفع به الى استثمار " منطقة القراءة على التواصل المثمر مع العمل"(١٣)

إنّ الخاصية الدلالية للعنوان الفرعي تعود الى علاقتها بالخطابات الانتقالية الموجودة داخل النص الأدبي (الرواية) فيغدو العنوان عاملاً مساعداً نحو تنمية الفكرة عند القارئ، فتعمل على المحافظة على حدود كل واحد وخصوصيته الخاصة فيصبح العنوان ذلك الجسد المسكون إليه وبداية الإنطلاق نحو رؤيا جديدة .مع ذلك" إنّها عناوين داخلية شديدة الصلة بالعنوان الرئيسي من جهة وبالنص الأدبي من جهة أخرى، فهي تعمل على استعادة الحدث أو الاحداث أو تكثيفها أو تخلق فضاء يوهم القارئ، كما أنها تشكل بؤر نصية ماكرة

ومخاتلة، تتجاوز وظيفتها التحديد الفقراتي للنص لتطول وظائف أخرى، تستمد من سياق نسيج النص الأدبي كله(١٤)

من هنا يمكن القول إنّ كل عنوان فرعي هوعبارة عن فكرة تضم عبر مسارها الامكانيات المتعددة لهدف الكاتب فهو يسعى الى توصيل الصوت الآخر أفكاره، وذلك" أن كل عنوان داخلي تعتمل فيه حركة مزدوجة : حركة جاذبة، تعزله وتفصله وتغلقه حول حدود؛ وحركة نابذة، فإذا نظر اليه من زاوية منفصلة، فهو يشكل كلاً، لكن هذا الاستقلال الذاتي محدود لأنّ العنوان يقوم على شكل سردي يتجسد كذلك في العناوين الداخلية المجاورة له، فلا يتم تمثل العنوان الواحد إلا مصحوباً بذكرى العنوان الآخر/ السابق" (١٥)

تراكيب العناوين عند (واسيني الأعرج) :-

تمتاز العناوين عند واسيني الأعرج بالتراكيب البسيطة والتي لا تتجاوز بنية التركيب عن كلمتين أو ثلاث كلمات وتصل في بعض الأحيان الى أربع كلمات، غير أنّ هذه التركيبة البسيطة كفيلة بإلقاء ظلالها على فكرة عميقة، يستوجب من القارئ بذل جهد لكي يكتشف الدلالات العميقة .

من هنا ندرك إنّ العنوان بهذا التركيب المختزل لا تنحصر في بنيته السطحية أشياء بسيطة، بل ثمة بنية عميقة يختزل الكاتب تحت التركيب جلّ قضاياها الكبرى، بتعبير آخر أنّ قاعدة التركيب لها محمول دلالي تحمل تحت طياتها زبدة أفكاره، وتأتي هذه الافكار عن طريق " شكل لغوي موازٍ لفجوات نفسية صادمة للمتلقي، مما يطرح مسألة الغموض الدلالي للعنوان، كما تطرحه عناوين المحكيات الحديثة"(١٦) من هنا تمثل اللغة اولى محطات الصراع الفكري عند الكاتب وتتم من خلالها صب رؤى نقدية على تعابير العنوان والتي تمتد علاقاتها بتغيّر موقعها داخل التركيب اللغوي.

بدءاً يمكن القول على عناوين (واسيني الاعرج) غلبت العنونة الاسمية سواء كانت بالعناوين الثنائية أو المركبة، غير أنّ العناوين ذات الصيغ المنكرة

كانت هي المتفوقة على غيرها من العناوين المركبة، وهذا يدل على أنّ الاختيارات التي تقدمها لغة الكاتب اختيارات تستدعي الانتباه كعنوان قد تمّ تشكليه كمغامرة لغوية والتي لا تستقر على حال واحدة مهما اتسعت تجربة الكاتب، وربما تكون خاصية التحول والتغيرمن أشد خاصياته التي تمظهرت في تركيبية العنوان، وهذه الخاصية تركز على خصوبة المعنى وغنى الدلالات والانتقال من الألفة الى العمق والغربة، والميل الى الايحاء والتكثيف والحلم، فكأنما يتمظهر في العنوان شيئاً ما، هذا الشئ الكامن يقوله صمت العنوان (١٧)

ويلحظ في عناوين(واسيني الاعرج) خلوها من الجمل الفعلية ، والسبب في ذلك عدم ارتباط بزمن محدد، واشعار القارئ بمدى معاناته مع حقيقة الواقع المشرد والضياع بين دفات الغربة والسعي وراء عدم الهدف، وهذه كلها تعزز الرؤية عند القارئ لتعطي تأويلاً يتلائم مع معاناة الكاتب.

وكذلك يلحظ على الكاتب محافظته في تراكيب العناوين على صيغ النكرات على نحو مطلق، وجاءت هذه الصيغ لتخدم الفكرة الموجودة عنده فاذا نرى "باالنكرات تحمل من المعاني اللطيفة، والدلالات غير المرئية، ما يبهر السامع، ويدهش القارئ " (١٨) فالنكرات تصبح منفداً لتعبير الكاتب عن ما يختلج في نفسه، ويكون الهدف منها اشعار انطباع معين من الكاتب .

ثم بعد ذلك نرى وجود الأمكنة والأزمنة على عناوين (واسيني الاعرج) ولاسيما في العناوين (خريف ، صحراء، وفصل) وهذا ناتج عن وجود العلاقة بين الكتابة الروائية والمحيط البيئي أو النفسي الذي تتم فيه، علاقة تناقض وتنافر، فقد تحدث عن عفوية الكتابة وانفلاتها من حدود المكان والزمان والرغبة .

إنّ الكتابة الأدبية في كثير من الأحيان تفاجئ دائماً في الامكنة والازمنة، والحالات النفسية، لذلك سعى الكاتب الى توظيفها في لغة العنوان، لأنّ العنوان يحلينا حتماً الى حقيقة ما تضمر الانسان حول الأزمنة والأمكنة،فوجودهما

استجابة لما عايشه، سواء كانت على مستوى الآنية أو على مستوى التخيّل، لذلك لا غربة في تواجدها في العناوين .

وتنطوي عناوين (واسيني الاعرج) على بعض المصادر، ولاسيما في (الانتظار) وهو عنوان ذو مؤشر مزدوج، ويشتمل على عنصري الزمان والمكان، وهو بلا شك مشكل وجودي حول مسألة ما، فالانتظار الآني ينظر اليه على نحو مأساوي فينظر الى المستقبل بنظرة مغايرة منطلقاً من واقعها الحالي المأساوي، آملاً في المستقبل أن تراوده نظرة مستحسنة ، لذا يكثر بالنظر نحو المستقبل من الزمان الآني .وعليه يمكن القول إنّ عملية وضع العنوان هنا مرتبطة بحالة نفسية، إذ لا تسمح بمتابعة الابداع الفني الا بعد اكتمال ووصول الرؤيا عند الكاتب الى حالة الاتزان والاستقرار النفسي .

العنوان العام :- (أصابع لوليتا)

صراع الرؤى كان الأساس في عملية تركيب العناوين في رواية (أصابع لوليتا) فهناك أكثر من رؤية حاول الكاتب أن تفصح عن رؤيته باتجاه الواقع، لذلك لا تظهر العناوين بسهولة، بل تتضح بحذر مع التكثيف الدلالي لعلامات العناوين.

أول ما نلحظ عن هذه الرواية أنّها تساير الروايات العالمية، أي تناص مع غيرها من الروايات العالمية منها رواية (عطر) للكاتب الالماني (باتريك سوسكيد) الى جانب روايات اخرى روسية بالذات، وهو في عمله يحاول اسقاط الحاضر على الماضي، أو اسقاط المستقبل على الماضي، والغاية الأسياسية هي تقريب المضمون الى القارئ، وهذا الأمر يؤدي الى ظهور أصوات متعددة في الرواية، وعليه يمكن القول إنّ الرواية تحمل جزءاً من الروايات الأخرى على نحو قصدي أو عفوي، مركزاً بذلك على الجانب الدلالي ومقصدية النتاج النصي،

تاركاً الجانب السياقي في جانب دون التقرب اليه، الأمر الذي يشكل الى تواجد مجموعة من الشبكات التناصية في متن الرواية.

أما بالنسبة لتركيبية العنوان (أصابع لوليتا) فهو عنوان تركيبي يؤشر على قطبين الأول يمثل بـــ(أصابع) وتمثل هذه الأصابع الواجهة الظاهرة للمرأة، وعلى وفقها يمكن أن يقاس جمال المرأة عبر الاعتناء بها، لذلك ما من امرأة تعتني بجمالها وأناقتها ورشاقتها. الا وتبدأ بمراقبة أصابعها وجعلها السبيل الأمثل والأبرز لجذب انتباه الآخرين.

اذن الأصابع علامة تعمل على رسم جمال صورة الإنسان عند الآخرين من خلال الترتيب والتلوين بالوان متعددة لتسحر أعين الناس بمجرد النظر اليها ، ومن جهة أخرى نعلم أنّ (لوليتا) تعمل كعارضة للأزياء هذا يعني أنّ الاعتناء بالأصابع أشد وأكثر، لانّها تمنح لها قدرة وحافز أكبر بالتشبث بعالمها الموضوي فكل جزء من الجسد يكون محطة المراقبة من قبل الآخرين فالأصابع علامة جمالية وتأثرية على الآخرين.

والثاني اسم (لوليتا) فهو عنوان استعاري من الروايات الأجنبية لا يحيل الى ذات الاسم، بل يحيل الى دلالته المستوحاة من السياق النصي الجديد في المحمول الروائي، إذ يشبه الكاتب في الرواية لوليتا بالغيمة التي تحمل رذاذة المطر تظهر وتختفي فترة زمنية قصيرة، فإضافة أصابع الى لوليتا كظهورها كعارضة أزياء أمام الجمهور فترة زمنية قصيرة تظهر وترسم البسمة للجمهورثم تختفي، حيث يجد الجمهور نفسه في غمرة السعادة أثناء ظهور لوليتا مثل ظهور الغيمة خلال فصل الربيع التي ترجّع البسمة للأرض وترسم لون جديد غير متداول من قبل .فإحياء الأرض برذاذة المطر توكيد حقيقي لواقع الأرض ،فالعلاقة هنا علاقة تشابه وذلك اعتماداً على التشبيه المركب والدلالة المشتركة الخاصة بين(لوليتا) والغيمة، فقد ولدت صورة بلاغية مشتركة ومتعالقة على مستوى السياق والدلالة،فالخطاب هنا يأتي على نحو مباشر وغير مباشر، إذ

يمثلان علامة سيميائية تعمل على تدليل سعة الحمولة الدلالية للعلامتين، فكشف محمول الخطاب يبقى على عاتق القارئ .

يتجه الكاتب في سياق البنية التركيبية للعنوان نحو منطقة الأسرار، وهي تمثل السر الذي ينتج فيه الكاتب تفاصيل عمله والبؤرة التي تتحصن فيها الابداعية، فيسعى الى الكشف عن الأدوات والرؤى والفضاءات بطرائق وآفاق ومساحات تعمل كلها على ابراز الهوية الشعرية في العنوان، فلفظة أصابع جاءت بصيغة نكرة وجمع (جمع تكسير)،فحرص الكاتب الى تشخيص مفردات الطبيعة وتجسيدها مع مفردة اخرى من الطبيعة نفسها تعمل على إظهار حركة تصويرية تحفز القارئ، إذ يستعين القارئ بتصورات ذهنية لمشاهد (لوليتا) مع أصابعها وهي عارضة للازياء، حيث تجتمع صورتان متناقضتان في مشهد واحد، فالصورة الأولى ،حينما تظهر لوليتا على المسرح إذ يسود الصمت حالة الجمهور أثناء وجودها،إذن صمت الجمهور أمام حركة لوليتا، هذا يمثل جانب الحركة الحسية، في حين تأخذ الحركة المعنوية في احساس الجمهور بالنظر اليها ، حيث توحي بالفرح واللذة والشعور الداخلي للإنسان أثناء إظهار لوليتا مظاهر جسمها أمام الجمهور، فاحساس الجمهور مع حركة لوليتا صورة ثانية، فاجتماع الصورتين يكسب العنوان وضعاً شعرياً ونفسياً وتشكيلياً خاصاً، وبهذا يكون فضاء العنوان التركيبي كاشفاً عن التسمية الصريحة، فضلاً الى أصباغ لمسة شعرية للعنوان.

أما بالنسبة للعناوين الفرعية، فجأءت عبر خمسة فصول، فلكل فصل يشكل دعماً دلالياً للعنوان الفرعي،وهو يشكل تجربة الكاتب الغنية ووعيه بتجارب الاخرين مما جعل كل فصل بمثابة رواية من حيث الحجم ، فجاءت كالآتي:-

الفصل الاول: خريف فرانكفورت (١٩)

الفصل الثاني: انتظار على حافة النهر(٢٠)

الفصل الثالث: رماد الأيام القلقة (٢١)

الفصل الرابع: صحراء الفتنة والقتلة (٢٢)

الفصل الخامس: فصل في جحيم التيه (٢٣)

خريف فرانكفورت :

قبل أن نؤشر على المحمولات الدلالية لهذا العنوان، يتوجب علينا أن نؤشر الى ثوابت حقيقة تظهر عطاء دلالة العنوان، ومن هذه الثوابت أنّ مدينة فرانكفورت تقيم على أرضها في فصل الخريف من كل السنة معرضاً للكتاب العالمي ، وهي تعد ثالث أكبر المعارض في العالم ، إذ يضم هذا المعرض كل الثقافات العالمية ويسمح فيه التعبير بحرية عن آرائهم الشخصية ، الأمر الذي يجعل من المدينة جواً تسوده أجواء فنية وثقافية قلّ نظيرها من المدن الأخرى وبهذا يتبوء مكانة عظيمة في نفوس الاخرين والكاتب بالذات .

تتشكل عتبة العنوان(خريف فرانكفورت) بوصفها ممارسة يؤديها الكاتب عبر آراءه حول أصحاب الكتب في هذا المعرض، إذ يؤشر من البداية على نوع مخصص من فصول السنة وهو فصل الخريف الذي يتميّز بتساقط الأوراق ويوحي ببداية التغيير على الطبيعة ، فهذه الصورة تحفز الانسان على التأمل والتذكر والتفكير وتعمل على تضاعف قيمة اللون والدلالة عند الانسان ليتجاوز بذلك الى أبعد من ذلك منطلقاً من التغير الذي حصل في أوراق الأشجار.

تتجه دلالية العنوان نحو وجود علاقة قوية مع مضمون الفصل، إذ تتمركز نصية العنوان باقامة العلاقات الممكنة بين الكتاب المؤلف ضد الاسلام وبين العطرالذي" واصل توقيعاته متصيداً مصدر العطر. بينما عادت ايفا تتفحص بعينيها البحريتين الحادتين، أوراق عرش الشيطان، الرواية التي بدت لها معطرة برائحة الغموض وبعض الخوف"(٢٤) فتسليط الضوء على الكتاب (عرش الشطيان)عبر رائحة العطر على حساب معتقدات الآخرين ما هو الا

بضاعة ترويجية ولعبة عبثية ، فغايته هي تأسيس مناخ يحوله الى موضوع طريف يجذب القراء ويكون معروفاً عند الآخرين. فعند التمعن أكثر في بنية العنوان نفهم المعنى الذي يتضمنه العنوان من حيث التركيبية والاحالية، إذ تنفتح عتبة العنوان أمام رؤية جديدة تنهض هذه الرؤية من النص نفسه عندما تقدم أحد الشباب وسأله باستغراب " السيد مارينا، لماذا تكتب ضد الإسلام؟ ماذا ستربح عندما تخسر ربك؟ "(٢٥) وهذا الأمر فجّر في داخل (مارينا) انتكاساً وجعله يفكر كثيراً بعد نجاحات متواصلة ونفاذ الطبعات المتوالية لهذا الكتاب غير أن تصرف الشاب قد أزعجه وراح يسأل منه" طيب ما الذي يزعجك في ذلك؟ تريد الصراحة، النية المبيتة ضد الاسلام"(٢٦).

وتنكشف أمام كل هذه النوايا سر استخدام الكاتب لفظة (الخريف)، إذ يلعب الراوي لعبة سردية تنكشف في متن العنوان، ولا يخفى لأحد ما لسيميائية هذه اللفظة من طاقة إيحائية كبيرة تتعلق بفضاء العنونة، وهنا تتمظهر عتبة العنوان في تحريك شفرة الحجب على جسد الغائب باستخدام انزياحات غير مرئية، فاذا كانت الأوراق مصيرها السقوط في فصل الخريف، فإنّ الذبول والذوبان يصيبان هذا الكتاب في هذا الفصل بالذات وفي هذا المعرض بالذات، فالصورة التشبيهيه القائمة بين دلالة الخريف ومناسبة وجود الكتاب علاقة تناسبية بين الذوبان والسقوط في هذا الفصل والمعرض، وهذا الأمر يفضي بنا الى الغاء الفصول الباقيات واستئثار(الخريف) لكونه يناسب المعرض بالزمن والمكان والفعل، وهنا ندرك خضوع العنوان لتحريف كبير في صياغته اللغوية على النحو الذي يشير الى قصدية واضحة في انتمائه ووضعه على مسار الحكاية الشعرية وتقيّد خضوع العنوان بمنطق العنونة وستراتيجيتها. كونها تكشف الحقيقة المريرة المخفاة في العطر، فقد نتجت هذه الدلالة من خلال وضع العطر اشارة الى الكتاب المسئ للاسلام،كانّما يقول سأصنع من هذا الكتاب عطراً بين

الناس، ولكن استعمال الراوي لفظة خريف عكس المعنى تماماً جعل التساقط مصير هذا الكتاب مثل تساقط أوراق الأشجار في فصيل الخريف.

على هذا النحو تتكشف لنا قوة العلاقة بين متن النص وتركيبية العنوان، فضلاً عن كفاءته الإجرائية وقوته التعبيرية، ليكون ثريا مضيئة تشرق وتتغدي من الحقول الشعرية، فاختيار الراوي لفظة الخريف فيها انزياح غير معلن ذات دلالة كبيرة تتعلق بتركيبية العنوان، وبذلك يكون فضاء العنوان يكشف عن التسمية المصرح بها على طبيعتها وكيفيتها، ليكسب بعد ذلك وضعاً شعرياً ونفسياً وتشكيلياً خاصاً.

انتظار على حافة النهر :-

ينتخب عنوان (انتظار في حافة النهر) بوصفه عتبة مركزية يحدد الموقعية المكانية التي يمكن إعتبارها مكاناً حميماً يبعث الى النفس الانسانية كل وسائل الراحة والطمأنينة، فهو مكان انيس مليئ بالذكريات تدفع به الى المضي والتقصي في هذا المكان، الى جانب وجود لحظة انعطافية زمنية تنبئ فيها صورة زمنية مبنية بناءً دراماياً.

فالعنوان يسجل فضاءً ذاكراتياً على صعيد تشكيل سيميائيتها العنوانية، إذ تنتمي الاشارة في بنائها السيمائي الدلالي الى فعالية العودة الى الوراء – مكاناً وزمناً – لتسترجع تلك الأيام وتستدرك حيويتها، على نحو يسمح لانتعاش النفس والتلذذ بعبق الماضي الجميل ،وتتجلى في لفظة (انتظار) المتجه نحو لغة ينعدم فيها اساس التواصل والتفاهم والتجانس مع المحيط ، الأمر الذي يجعله يعيش في دوامة التفكير والاحتمالات وحالة الذهن الحاضر في فعاليته الراهنة الهشة تتجه نحو فقدان الاستقرار، فتحجب أمامه فضاء الكون ويطيل الانتظار لاستحضار المنتظر، الذي قد يأتي أولا يأتي .

ومن جهة ثانية تشير لفظة الانتظار الى أحد الأمرين: السكوت الذي يعني عند المنتظر الموت وتحمل العذاب والمرارة أو الخفاء وهذه اشارة الى عدم القدرة على الابانة، وما بين الموت والخفاء يترشح اللا ثبات في أمره واللاقرار وهذه المرة الأمر الذي يدفعه الى التحمل في أوجاعه ويطيل الانتظار ويعيش في عالم خياله.

لا شك إنّ عتبة العنوان تحيل في صيغتها التركيبية الى الإشكالية بين الذات والمجتمع، بوصف الثاني قاهر ماحق عليه والاولى مستلبة خاصة تتعلق بالذات نفسها ويتجسد الاستلاب في حالة الغربة والضياع في مكان لا يشعر بالانتماء، لذا يلجا الى الانتظار في حافة النهر التي اصبحت ملاذاً لكي يرسم ما هو كان جميلاً وحيّ في مكنز الذاكرة.

إنّ محتوى الصراع بين الذات والمجتمع هو المسؤول الأول عن إنتاج شعرية العنوان، فحالة عدم الاستقرار المتشربة في داخلها تتحرك في داخلها ببطئ في فضاء تمتاز بايقاع سريع على المجتمع وثقيل على الذات ليسطّر حالتة الانفعالية والضيق عبر مواجهته القاسية غير العادلة امام المجتمع، والذي ينشد من وراء الانتظارجسد حركي غائي يستهدف الى الخلاص والنجاة ، وكذلك يتشظى من لفظة (انتظار) واللجوء الى حافة النهر أنّه يتفادى المواجهة أمام المجتمع لا أنّه ضيف بل وصل الى قناعة أنّه لا يفيد الجدل والنقاش معهم ، لذا يلجا الى حافة النهر حيث الطبيعة التي تأخذ الانسان في آفاق واسعة جداً، وعلى الرغم من وجود حركة النهر إلا أنّه بعيد عن دواخل الاشخاص.

على هذا النحو استخدم الراوي في لغة عنوانه لغة خاصة تضئ زوايا معتمة وخفايا غامضة ظلت محصورة في مناطق حساسة والتي تتسم بأنها بالغة الخطورة، وهذا التعبير يستقيم مع الهوية الشعرية التي تكشف الحجب عنها ، وتفتح فضاء آخر تكون فيه مباغتة .

رماد الأيام القلقة:-

التركيبية العنوانية ل(رماد الأيام القلقة) تشير في مستواها النحوي الى حذف المبتدأ، ويتجلى في الرماد كونه خبراً لمبتدأ محذوف تقديره (هذا) إذ يقوده المحذوف الى وجود نوع من الإبهام والغموض المتواصل في حياته، وهذه إشارة الى مقصدية الروائي في عملية صياغة العنوان، مما نجد في المتن النص العنواني من حضور مكثف للمأساة والحرمان، والوضع المتأزم الذي يخيم عليه، "بحيث إنّ الفجوات النحوية هي شكل لغوي موازٍ لفجوات نفسية صادمة للمتلقي، مما يطرح مسألة الغموض الدلالي للعنوان، كما تطرحه عناوين المحكيات الحديثة "(٢٧) الى غير ذلك مما يساعدنا الى أن نسجل وضعية حياته في معرض تغير مستمر.

وتبدأ الحركة الثانية من تركيبية العنوان بالإلتفات من صيغة المخاطب الى صيغة الغائب ، ومن المقهور المتسلب الى القاهر التابع لإرادة داخلية، والإلتفات يجري من خلال ما يضمر بداخلة مما يهئ حضور القلق في حياته ،فرماد الأيام القلقة مفتاح للولوج الى عالمها الحقيقي حيث المأساة والويلات فحياته تتراوح بين السواد والبياض تارة تكون أقرب الى السواد، وتارة تكون اقرب الى البياض، والرماد هو اللون المناسب لحقيقة حياته.

فالعنوان يقدم قيمة لونية تحقق حضوراً كثيفاً وبارزاً في مساحة السرد، حيث يذهب المتلقي مباشرةً الى قسوة الحياة التي رسمت صورة قاتمة تفضي به الى المضي قُدُماً والتقصي بأيامه الماضية من أجل إثبات نفسه أو هويته. وجاءت هذه عبر استخدام الكاتب لون يتمظهر فيه دلالة تتراوح بين (الابانة والغموض) فالرمادي يوحي باللاصفاء واللانقاء بفعل الامتزاج والتداخل المتولدين عن حركة اضطرابية يشعر بها الانسان من حين لآخر، وتعزز هذه الدلالة مجئ اللون بصيغة النكرة التي تنفتح على أزمات الانسان المتواصلة مع مرور الزمن،

فضاء العنوان يبدو مضبباً حيث المشاعر تختلط في نفسية الكاتب لما يشعر به من ارتباك، وما تمر به من أحداث غيرت نظام حياته وطريقة تفكيره، فالقضية قضية بحث عن انتماء ذاته عبر تداعيات الشخصية المتجسدة في شكل حلم أو حلم يقظة أو تخيّل أو استذكار، إذ يسود عليه لون متذبذب بين البياض والسواد، فكأنّما في العنوان نوع من التضاد وعدم التصالح، لذا مجئ لون الرماد يوحي برغبة الفرد على ابقاء اللون الملائم لحياته الحالية.

وعلى هذا النحو ترسم دلالة اللون طاقة تعبيرية لا حصر لها على نحو يكون التشكيل التعبيري تشكيلاً حاشداً مكتظاً بثراء دلالي بالغ العمق والكثافة, والثقل والتمركز، إذ لا يمكن الكشف عن خباياه من دون دعمه بالمقاربات التي ترشحها عن معرفة الكاتب باسرار لغة العنوان وكيفية انفجارها لتكشف لنا عن صورة من صور اشتغالة الشعري في ميدان العنوان، وكيف شارك اللون في لعبة صراع الانسان مع الايام

صحراء الفتنة والقتلة :-

العنوان جاء كما هو واضح بكلمة نكرة (صحراء)عرفت باضافتها الى كلمة (الفتنة) تحديداً ثم عطف على كلمة أخرى لتأخذ معنى أوسع وتؤسس نمط العلاقة بين الانسان المنتمي وطبيعة المكان، التي تتمظهر جسد الانسان بكل تجلياته وتمثلاته – عاطفياً وروحياً ومادياً– مع بيئة الصحراء.

فالصحراء كما هو معروف فضاء واسع ممتد قفر، لا ماء فيها كالانهار والجداول، قليلة المطر والنبات ، وهذه كلها من شأنها أن ترسخ القسوة والتخويف في نفسية الانسان، وهذه المعاني كلها تهئ مجيئ المضاف اليه (الفتنة) وهي ظاهرة تنتشر بين أوساط الناس، ولا سيّما في مجتمعات تبرز فيها الضعف والتفكك، وخصوصاً بدايات الانسان العربي . فالعلاقة بين الصحراء والانسان المنتمي علاقة حميمة، تعمل على توجيه حياته وفكره وسلوكه ،وترسم

صورة ايحائية للمجتمع ، لذا يتصف الفرد الموجود في الصحراء بالشدة والقسوة، وتسود بينهم الغزوات والتهجير القسري والدمار، وهذا ألامر يهيئ مجيئ (القتلة) بشكل معطوف على الفتنة لتبرز الوجه الآخر لتلك المجتمعات آنذاك .

تدخل تركيبية (صحراء الفتنة والقتلة) في لعبة تسمية كاملة لقصدية الكاتب، وتستمد سيميائية العنوان من اقترانها التسموي والايقاعي والملحمي والتشكيلي بأوليات ظهور الانسان العربي الذي يرتبط بالصحراء، حيث يمنح العنوان فضاءً حراً واسعاً يعمل على تسخير كل ممكنات المنتمي تجاه الآخرين، عبر الانتماء الحركي الفعلي نحو الارض، بعد احتواء مفرداتها من تجليات الطبيعة وعكسها في أفعالها وتصرفاتها، وصولاً الى المبتغى في اطاره الفلسفي تجاه الحقيقة، والحقيقة المعروفة عند الغربيين أنّ الصحراء تمثل الانسان العربي، أو بدايات الإسلام الذي انطلق من الصحراء وأخذ رويداً ورويداً يتوسع نحو أمصار أخرى.

فعلامة الصحراء في هذا العنوان تمثل لافتة فرضية تنطلق من الصحراء الموجودة في الجزائر، إذ تنتشر فيها مجموعة مسلحة توحي أمام أنظار العالم صورة مماثلة لبدايات الإسلام، على اعتبار أنّ العمليات التي تحدث في فرنسا من أعمال تخريبية مصدرها الجماعة المسلحة الموجودة في صحراء الجزائر، فتعمد الكاتب أن يصنع حقيقة في العنوان، على اعتبار المؤشرات الواقعية للاسلام تشار الى أحداث وقعت في التاريخ الماضي، اما العصر الحالي فإنّه من صنع اعداء الإسلام وليس ببعيد الدول الرأسمالية.

غيرأنّ علامة العنوان تشكل فضاءً آخر، ويأخذ بعداً دلالياً يوحي بالبعد العدائي تجاه الاسلام، إذ يوضح الكاتب بحسب معطيات العنوان، أنّ الاحداث التي تحدث في أوربا بشكل عام وفرنسا بالذات لا تمت بأية صلة للأصول الإسلامية الحنيفة، وليس من عادات الإسلام تشجيع أو احداث بلبلة في أماكن أخرى من العالم، فهذه اسقاطات باطلة ومزيفة تجاه العرب والإسلام لا تحمل

حقيقة الأمور، بل تعمل على تشويه صورة الاسلام. والصفتان المناسبان للإسلام هما السلام والمحبة ، أما الفتنة والقتلة فبعيدة كل البعد عن الشعائر الاسلامية.

وعليه فانّ حساسية العنوان أسهمت إسهاماً خلاّقاً في مظاهر التركيز والتكثيف والتبيين والتبئير، وصنعت هاجساً دلالياً يفيد من تقانة المفارقة لتنير مساحةً تنعكس برهافة وعمق سيميائي على مرايا قد حجبت الصورة الأصلية أمام العالم وحلّت مكانها صور مزيفة ليست حقيقة، بأسلوب مغامري ينغلق وينفتح في لحظة تركيبية داخل العنوان .

فصل في جحيم التيه :-

يعدّ عنوان (فصل في جحيم التيه) من العناوين التي تحمل مشاهد صورية، يبدأ بالخبر والمبتدأ محذوف، فيجد القارئ نفسه أمام مشاهد تتجاوز عدة فصول كلها تشغل بحورات غير مجدية تتعلق بالأحداث التي تشغل البلاد، لان الكل ينطلق من وجهة نظره متمسكاً برأيه دون التنازل أو الاعتراف بآراء الآخرى، وهذا الامر يؤدي الى انعدام التفاهم بينهم، لذلك فالمشاهد الصورية تبدأ من حيث لا انتهاء لمشاهد السابقة.

إنّ التأكيد على الحوارات التي تدور فيما بينهم تكشف على وجود مشاهد ساخنة تظهر عبر نقاشات ساخنة طويلة ومستمرة، سرعان ما تنقطع وتعود من جديد، والشيئ الذي يجمع بينهم جميعاً أنّهم كلهم بلا هوية ودون اتفاق،فلغة الحوار تتحرك على محورين متلازمين، المحور الذاتي لكل انسان، والمحور الثقافي الذي يفتح داخل الانسان تصورات عديدة، ليشكل كل هذه المشاهد الصورية التي تستند على لغة شعرية، ولعل ذلك يظهر ذلك على نحو واضح من تسمية العنوان بصيغة النكرة التي يكتنفها الابهام، فلو تأملنا لفظة (فصل) لجعلنا نقف أمام مهارة الكاتب في استخدمه، حيث تعمل على تحفيز القارئ على القراءة بمزيد من التأويل والاحتمال ،فضلاً على سرد المشاهد بشكل متواصل

ويترك القارئ بدوره يبحث عن الاجابة على اسئلة الكاتب، لذلك يكون الكاتب قد سحب بذكائه القارئ الى ساحته ليشاركه في همومه ويتيه في فصول المشاهد.

فالصيرورة والكينونة والتحولية الحرة بين فصول المشاهد لعبة من قبل الكاتب حيث طرح الحوارات العقيمة، وعزز فكرة اللعبة في تثبت كل شخص برأيه، مما أمكن الى المساعدة على فهم الحديث الذي دار بين (لوليتا وحبيبها) حول المجموعة الارهابية إذ قالت:

"حبيبي نقاشنا لم يكن صائباً. كالعادة كنت تافهة أمامك. حكاية الصلاة هذه لن نتفاهم عليها فيها. هل تعرف لماذا ؟ لأني احبك وانتهازية وأنانية الى اقصى الحدود." (٢٨)

على النحو الذي يستخدمه المتحاوران للغة خاصة وفردية تضئ زوايا معتمة وخفايا غامضة في هذه المنطقة الحساسة البالغة الخطورة، وتحفظ الموازنة الصورية المشهدية وتعمل على ديمومة الحركة واستمرارية المشاهد دون تسجيل انتصار لأحد الاطراف المتحاورة، وهي في الحقيقة تمثل ردة فعل كل واحد تجاه الواقع أو الحدث، وهذا الأمر يجعل من السخرية تتواطأ قدماً، سخرية من الواقع الاسلامي، وسخرية من الوضع العربي المتهالك الذي يمثله أصحاب النفوس الضعيفة ، وفضلاً من السلبية التي تسم عالمنا العربي في كل مستويات المتحاورين.

ويظل التيه الذي يترسم في واجهة المشهد قائماً وفاعلاً وحاضراً ما دامت صفة التفاهم غائبة وتسجل صفة الهدم إيذاناً بدخول مرحلة جديدة وهي حالة التوتر أو مرحلة متاهة الغياب ويقرّ بوجود صراع حقيقي بين الطرفين .

الى هذا الحد تكون لغة التخاطب بين أطراف الحديث معدومة ، وليس هناك ما يؤشر الى وجود التفاهم بين أطراف الحديث،واستحالة التوافق بينهم ولهذا نجد أنفسنا في نهاية المطاف إننا أمام مجموعة من الناس وهم ضائعون ومتجهون الى الجحيم .

إنّ ايراد العنوان، جاء ليكشف عن حالة من الحالات اللاطبيعية ،التي يعاني منها المجتمع الأوربي تجاه الاسلام، والمفارقة تكمن في السخرية، إذ إنّ مقابل وصف الاسلام بهذه الأوصاف نابع عن حقد دفين، فضلاً عن سخرية الغرب بأوضاع العرب الذين يتناحرون فيما بينهم الامر الذي جعل الغرب يستغلون هذا الوضع ليوجهوا مثل هذه الاوصاف نتيجة ضعفهم ويكونوا محطة الانتقاد من قبل الآخرين،لما هم فيه من واقع مرير.

الخاتمة

بعد الانتهاء من دراسة عناوين رواية (أصابع لوليتا) للكاتب واسيني الاعرج، والتي كانت مصدراً خصباً لأغلب أفكاره وموضوعاته، حيث وظفها على ضوء معطيات فائقة لشعريتة الادبية في التركيبية العنوانية، وهذه لم تأتي عبثاً إنّما جاءت نتيجة تراكمات معرفية على مرّ السنين، وقد تمثلت أهم النتائج بما يأتي :-

١- يعد العنوان مرحلة من مراحل الشكل الشعري ، تأخذ ترتيبها من دوافع كامنة تعمل على هدم مركزية المعيارية للفظة ، واحلال مركزية شعرية تكون قادرة على توسيع مدركات القارئ والتمتع بلذة التفكير به ، فضلاً عن كونه محطات افتراضية تأويلية توجه القارئ نحو جمالية العنوان .

٢- لم تتوقف مغامرة التركيب العنواني عند حد جمالي معين ، وذلك بفضل الانفتاحات الرؤيوية البالغة والاثارة التي يمارسها الكاتب في تركيبية العنوان.

٣- كانت تجربة الكاتب عنية بالتجارب ، مما أدت الى تنوع العناوين بأساليب مختلفة ، حيث يتلاعب الكاتب بالالفاظ والمفردات ليولد معنى جديداً ، منطلقاً من كل الممكنات المتاحة للسياق الجديد للعنوان ذي الصيغة الجمالية .

٤- إضفاء الطابع التشويقي على تركيبية العنوان ، وذلك بواسطة مجموعة من المؤشرات النحوية التي تشترط في العنوان والذي ينتج عن ذلك تراكم السمات الاستعارية التي تؤول الى دلالة مجازية، الأمر الذي يطرق المجالات الشعرية في التركيبية .

٥- التنوع في مستويات التركيب طولاً وعرضاً ، وجاءت لتخدم فكرة الكاتب ، وأغلبها التراكيب كانت قائمة على الجمل الاسمية التي تدل على الثبات والاستقرار، وتمحورت حول موصوف يدل عليه السياق العنواني، وذلك بالاعتماد على دلالة النكرة التي تجعل مجال الزمن مفتوحاً على نطاق واسع.

٦- سمات التشبيه والاستعارة مثلت تراكما سياقياً في جملة العنوان ، إذ تجمعا في شبكة دالة بموصوف غالباً ما يعود على ذات الكاتب ، ويتحقق هذا المستوى الشعري الذي ينزع بفعل الانزياح المضاعف والكثافة التعبيرية في الصورة العنوانية،

٧- المكان والزمن سمتان بارزتان في معيارية العنوان ، وذلك لأرتباطهما بالوضع النفسي للكاتب، والتنقل بين أمصار العالم.

الهوامش

١-شعرية القصيدة العربية المعاصرة (دراسة اسلوبية) محمد العياشي كنوني: ٢

٢- علامات في الابداع الجزائري : عبد الحميد هيمة: ٦٤

٣- لسانيات الاختلاف الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثة: محمد فكري الجزار: ٢١٨

٤- في نظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شوؤن العتبة النصية: خالد حسين الحسن: ١٠٨

٥- ينظر: شعرية القصيدة العربية المعاصرة (دراسة اسلوبية) محمد العياشي كنوني : ٦٩

٦- نظرية النص (من بنية المعنى الى سيميائية الدال) حسين خمري : ٢٧٣

٧- ينظر: نظرية النص (من بنية المعنى الى سيميائية الدال) حسين خمري: ١٧٨-١٧٩

٨- اللغة والتأويل ،عمارة ناصر: ٥٤

٩- اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية: ثامر يعقوب: ١٥٦

١٠-العنوان في الرواية العربية : ١٤١

١١-البناء السردي في روايات الياس خوري ،عالية محمد صالح: ٢٤

١٢- هوية العلامة : في تطبيقات وبناء التأويل: ٢١

١٣- متاهة الحكي في تمظهرات الشكل السردي : محمد صابر عبيد:

١٤-العنوان في ارواية العربية ، عبد المالك اشبهون: ١٤١

١٥- م. ن: ١٤٠

١٦-هوية العلامات: ٢٦

١٧-القصة القصيرة جداً في العراق: بهنام بردى: ٥٦

١٨-التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند القاهر الجرجاني: عبد الفتاح لاشين: ١٦٥

١٩-رواية (أصابع لوليتا) واسيني الاعرج: ١٣

٢٠-م. ن: ١٣١

٢١-م. ن: ٢٤١

٢٢-م. ن: ٣١٥

٢٣-م. ن: ٣٨٥

٢٤-م. ن: ١٥

٢٥-م. ن: ٢٧

٢٦-م. ن: ٢٨

٢٧-م. ن: ٤٨

٢٨-م. ن: ٣٨٨

المصادر والمراجع

١-البناء السردي في روايات إلياس خوري ، عالية محمود صالح ،دار أمنة للنشر والتوزيع، عمّان ، ط١، ٢٠٠٥
٢- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عندعبد القاهر، عبد الفتاح لاشين،دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية،١٩٨٠
٣- شعرية القصيدة العربية المعاصرة (دراسة اسلوبية) محمد العياشي كنوني، عالم الكتب الحديث ، اربد – الاردن ، ٢٠١٠
٤- في آفاق النص القصصي، مقاربات في الهوية والنص والتشكيل عند فرج ياسين، مجموعة النقاد، دار الكتب والوثائق ببغداد، سنة ٢٠١٣
٥- علامات في الابداع الجزائري ، عبد الحميد هيمة، مديرية الثقافة ولجنة الحفلات ، سطيف ، ط١ ، ٢٠٠٠، الجزائر
٦- العنوان في الرواية العربية ، عبد المالك أشبهون ، النايا للدراسة والنشر والتوزيع ، ط١ ، دمشق ، ٢٠١١م
٧- اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية (١٩٧٠- ٢٠٠٠) ثامر يعقوب ط١ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،٢٠٠٤
٨- اللغة والتأويل ، مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الاسلامي،عمارة ناصر، منشورات الاختلاف، دار الفارابي، الجزائر ، ٢٠٠٧
٩- متاهة الحكي في تمظهرات الشكل السردي، محمد صابرعبيد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا ٢٠٠٧
١٠- نظرية النص(من بنية المعنى الى سيميائية الدال)، حسين خمري،منشورات الاختلاف ، دار العربية للعلوم ناشرون، ط١ ، الجزائر ٢٠٠٧
١١-هوية العلامة في العتبات وبناء التأويل، شعيب حليفي، دار الثقافة، ط١ ،الدار البيضاء، ٢٠٠٥م